وحزين يوجد فيه محيط من الدموع ، وأطنان من الأمنيات التي يقيدها الفقر، رفوف سطرت عليها حكاية ألف فقير و بطون جائعة وظهور أشقاها التعب.

في هذه الدنيا ما أعظم أقوالنا وما أقل عطايانا وأفعالنا ، نقف أمام الفقير فنبحث ما أن كان في جيبنا فئات نقدية لاتكفي حتى لشراء قطعة حلوى صغيرة فنقدمها لهم ! فلنعلم أن الصدقة وتقديم المعروف في هذه الدنيا ما هي إلا حصالة نجمع فيها الخير ليعاد إلينا في يومٍ ما .

*****

القصة السادسة ـ نور

صفاء زهرة

"نور"وبكل ما يملكه هذا الاسم من بريق وأمل إلا أنه كان من نصيب طفلة صغيرة لم تَرَ في حياتها شيئاً من بصيصه، نور طفلة في التاسعة من عمرها نشأت في بيئة ريفية فقيرة لأسرة مكونة من أم وأب وزوجة أب وعدد كبير من الإخوة، لم تحظ في حياتها بالحب والاهتمام اللازم لأي طفلة في عمرها، فكان والدها مشغولاً بزوجته الجديدة وبالتذمر الدائم من سوء الأحوال المادية، أما أمها فكان نصيبها بالتعب والإرهاق هو الأكبر، قد حفر الزمن على وجهها أبجدية الشقاء فشاخت ملامحها مبكراً وخف بريق عينيها، وفي وسط هذا المكان البائس قدر الله لتلك الطفلة أن تصاب بمرض السرطان، وقد تم اكتشاف المرض بمرحلة ليست مبكرة ومع بعض الإهمال والجهل بخطره باتت أيام تلك الطفلة ليست بكثيرة ،لم يكن سهلاً على هذا الجسم الصغير أن يخضع لجلسات العلاج الكيميائي وأن تسري في عروقه تلك المواد الفتاكة فيشحب لونه، لقد أخذ يتساقط شعرها، فكانت رحلة العلاج بالنسبة لها عذاباً آخر تعيشه فوق عذاب مرضها، فكانت كثيراً ما تحاول رفضه وتعاني أمها في محاولة إقناعها والتخفيف عنها.

في إحدى جلسات العلاج فُتِحَ باب غرفة الصغيرة ودخلت طبيبة جديدة مكتنفة بهالة من الحنان والطيبة، كانت ابتسامتها مشرقة وملامحها مريحة وكأنها دخلت وأدخلت معها الحياة إلى تلك الغرفة، تقدمت بخطوات رشيقة وبطبقات صوت

يتخللها المرح، قالت أين تلك الفتاة الصغيرة التي ترفض أخذ العلاج، لكنك لا تبدين لي جبانة أبداً أيتها الجميلة، اقتربت منها وجلست بجانبها وقالت:

اسمعيني يا صغيرتي، هذا المرض يتغذى على الخوف، يتغذى على الضعف، لذلك سنقطع عنه غذاءه هذا ونكون أقوى منه، سنتغلب عليه سوياً سأكون بجانبك فأنا من الآن وصاعداً المسؤولة عن علاجك ،سرعان ما تدفق سحرها وسحر كلماتها إلى أعماق تلك الطفلة الهزيلة فتعلق قلبها بها وأصبحت تحب وجودها بجانبها، وصارت تتقبل العلاج أكثر ففي كل مرة كانت تحادثها وتستمع لسردها وبراءتها في الحديث حتى تنسى ألم تدفق تلك المواد في عروقها، كانت تقول لها الطفلة أشعر بأنك ساحرة، لكن ساحرة طيبة كتلك التي ساعدت "سندريلا " فأنت ألقيتِ على هذا الدواء كلمات غريبة حتى أصبح أخف ألماً، فتضحك الطبيبة من فرط براءة هذه الطفلة، ومضت أيام رحلة العلاج على هذا الوضع الذي لم يخل أحياناً من انهيار الطفلة وبكائها، ولكن سرعان ما كانت تعود الحياة إلى قلبها بمساعدة طبيبتها حتى جاء موعد الجلسة ما قبل الأخيرة ، دخلت الطبيبة كعادتها المرحة فوجدت الصغيرة تخفي شيئاً خلف ظهرها وطلبت منها أن تغمض عينيها امتثلت الطبيبة لرغبة الطفلة دون تردد يذكر فما كان من الطفلة إلا أن أخرجت ورقة مقتطعة من دفتر قديم بشكل يملؤه البراءة، ملونة بألوان متناثرة عشوائية كتبت لها فيها كلمات شكرٍ ومحبة بأنامل ملائكية، وبأحرف معشقة بالنقاء قدمتها لها وقالت سأنهي علاجي قريباً، ويحزنني

أنني لن أستطيع رؤيتك مجدداً، لذلك أريدك أن تتذكريني كلما قرأتِ هذه الورقة عزف وقع كلمات تلك الصغيرة على مشاعر الحزن عند الطبيبة وأخفت دموعها بمحاولات جبارة، فهي تؤمن بأن قوة تلك الصغيرة تستمدها من قوتها هي فلا يجب أن تبكي أمامها مهما حدث، وفكرت في طريقة تحيي قلب تلك الفتاة وتدخل عليه الفرح والسرور.

فكرت كثيراً بالأمر حتى اهتدت إلى طريقة مناسبة، فذهبت وأحضرت دفتر مذكرات مزخرف ملون الصفحات و صورة لها، فألصقت صورتها في أول صفحات الدفتر وكتبت لها كلمات جميلة مشحونة بالمحبة ثم فكرت في نفسها قليلاً وقالت هذا لا يكفي يجب أن يمتلئ هذا الدفتر برسائل من أناس كثيرة يجب أن تصل رسائل من المحبة كثيرة إلى طفلة لم تحظ بالمحبة في حياتها، فقررت أن تطرح تلك الفكرة على الأصدقاء والأهل والزملاء، وحصد اقتراحها الكثير من الاستحسان، فامتلأ ذلك الدفتر حتى آخر صفحة منه بالرسائل، فمنها من كان صاحبها فنان ورسم لها على إحدى الصفحات، ومنها من كان صاحبها شاعر فقرر ترك بعض الأبيات الشعرية الرقيقة، وهكذا أصبح الدفتر يعج بالحياة.

-وعند موعد الجلسة الأخيرة قدمت الطبيبة ذلك الدفتر لنور الصغيرة بكل حب وقالت لها:

وضعت لك صورتي في بداية هذا الدفتر كي تشعري دائما بقربي منك، يوجد بداخله الكثير من الرسائل لأشخاص يحبونك جداً، فكوني سعيدة لأجلهم، انفجرت نور بصيحات فرحة وضحكت كثيراً حتى لمعت عيناها، حضنت الدفتر بين ذراعيها وكأنه إكسير الحياة الذي ستشرب منه حتى ترتوي، وأغمضت عينيها ممتثلة لآخر جلسة علاج لها...

*****